
252
أنيس منصور
عبد الناصر
المُفْترَى عليْهِ والمفْترِي علينا
وخِطاب مُصطفى أمِين إلى الرئيس عبد النّاصِر
http://www.maktbtna2211.com/
Ahmed Mady
نهضة مصر
للطباعة والنشر والتوزيع

إنه شوقى عبد الناصر أحد أشقاء الرئيس عبد الناصر . كتب إليه خطابًا طويلاً . ظل يكتب هذا الخطاب أيامًا من الأرق والخوف والفزع والحزن : فليس سهلا عليه أن يرى أخاه هكذا ينهار والكلاب تنهش لحمه حيّا . والخدم يلتفون حول العرش ويحكمون مصر من وراء ظهره فبعث إليه خطابًا . وقبل أن يتصور أخوه ولو لحظة واحدة أنه تجرأ عليه لأنه انكسر ، وأنه ما كان يجرؤ أن ينصحه لو لم يكن مريضًا منهزمًا . ولذلك انتحر . . ولسوء حظه أنقذوه!

وزاره الرئيس عبد الناصر فى مستشفى المعادى قسم الأمراض العصبية قبل أن يسافر إلى روسيا للعلاج . وكان الرئيس عبد الناصر لطيفًا معه . وأسعده ذلك . ولم يسأله عن الخطاب ولا قال شيئًا يدل على أنه قرأه . فقد رأى محمد أحمد سكرتيره الشخصى أن هذا الخطاب سوف يوجع قلب الرئيس ، ولذلك أخفاه عنه . ومات الرئيس عبد الناصر دون أن يقرأ النصيحة المخلصة الوحيدة التى حذرته من سامى شرف وشعراوى جمعة وعلى صبرى!

***

وقد أحس الذين حول عبد الناصر مرتين أنه ليس مؤمنًا : بعد الوحدة وبعد الهزيمة .

ونشرت الصحف البريطانية بعد وفاته حديثًا مع أحد مستشاريه أن عبد الناصر لم يكن مؤمنًا!

ونشرت المجلات المصرية أيضًا . ومما قاله عبد الناصر : إن الجوعان يحلم أنه فى سوق العيش .

أى أن الإسلام ، وكل دين ، ليس إلا تحقيقًا لأحلام اليقظة عند الضعفاء والفقراء فهو تعويض لهم ، عن الذى لم يجدوه فى الدنيا . . فقط لا أكثر ولا أقل!

والله على ما أقول شهيد : فقد كنا نقف فى ملابس الإحرام حول الكعبة : رئيس مجلس أمة سابق ورئيس وزراء سابق وأمير مكة ومذيع سابق ، عندما تقدمنا الوزير المحافظ عضو مجلس الشورى حمدى عاشور ووضع ذراعه العارية على الكعبة يوم غسيلها قائلاً :

ورب هذا البيت لقد سمعت الرئيس عبد الناصر يصف الحج بأنه كلام فارغ . . وسمعت أحد مستشاريه يقول ذلك أيضًا . . ثم رفض المستشار أن يكمل الطواف حول الكعبة!!

فبالله عليك ما الذى يشعر به أى إنسان يذهب للصلاة فى مسجد عبد الناصر وهو يعلم أن صاحب الضريح لا يؤمن لا بالمسجد ولا بالسجود ولا برب هذا البيت؟!

ولذلك كان أولاد البلد على حق عندما يرون بالمسجد يقولون : إنه مسجد سيدى المفترى!

ويبدو أن الارتفاع المفاجئ كالهبوط المفاجئ ، يجعل الإنسان يفقد توازنه : عقله وإيمانه أيضًا!

ولم أندهش لما قاله صديق سودانى عندما زار أحد الزعماء السودانيين السابقين فى شهر رمضان فوجده يشرب الخمر . فبادره الزعيم السابق قائلاً : قبل أن تسألنى تفسيرًا لهذا الذى تراه ، أنا أقول لك . حاولت أن أساعد أخينا (وأشار إلى السماء) ولكنه لم يساعدنى . . فلا معنى للتمسك به!

سبحان الله وأستغفره!

وكان عبد الناصر فى اجتماعات مجلس الوزراء بعد الوحدة وبعد الهزيمة ، شخصًا لا يطاق . . فهو يرفض المناقشة والمراجعة . . ففى أيام الوحدة قد تأله ، وبعد الهزيمة قد تأله . . لقد أصبح مثل أبطال المسرح الإغريقى : العالم كله ضده . . كل القوى . . كل آلهة الأوليمب . . فهو وحده يقف ضد عناصر الطبيعة ، وهو وحده فى صراع مع كل جبابرة الكون فإذا انهزم فطبيعى أن يحدث له ذلك . . إنه وحده ، والعالم كله ضده .

وهناك حادثة مشهورة لأحد الوزراء ؛ حاول الاستقالة فقال له : ما عنديش وزراء يستقيلوا .!

أى أن الوزراء يطردون فقط!

وكان الحجاج بن يوسف الثقفى طاغية العراق يقول : إن طاعتى أوجب من طاعة الله . . فالله يقول «أطيعونى إذا استطعتم» . . أما أنا فأقول أطيعونى إن استطعتم أو لم تستطيعوا . . والله لو عصانى أحد أو فكر فى ذلك ، لقطعت رأسه!